صورة العالم في نتاجه، ان ليس ثمّة مطارد ومطارَد في هذا الوجود. الكل يطارَد حسب طريقته. هذا بكى وذاك بكى. والاتحاد بين ' حارس ' الغابات، هي وحدة مطارَدين. في ' العاشق ' لا توجد علاقة مطارِد ومطارَد بسيطة. نعيم المطارَد حسبما يبدو، هو بالذات الذي احتل ابنة المطارِد (آدم)؛ لكن آدم ذاته ليس مطارِداً وانما مطارَد من قبل مخاوفه وعجزه، مثلما ان ' العاشق ' غبريئيل هو مطارَد ايضاً (يهرب من البلاد، من الجيش، من هويته). اليهود الذين تحوّلوا من مطارَدين الى مطارِدين يطارِدون بواسطة عقدهم؛ والمطارَد العربي أمسى يهودياً في تصرّفاته وطرق تفكيره. نعيم، الفتى العربي، هو مزدوج الثقافة طلب الاندماج والذوبان، لكنه يقاوم لأجل هويته، وهو جذّاب جنسياً، لكنه ليس واثقاً ممّا يجرى له... ان وضع أقلية بين يهود حوّل العربي الغريب الى نوع يهودي، دون ان يتحوّل اليهود الى غرباء. اولئك وهؤلاء يطارَدون، والتاريخ، فقط، الذي يطارِد».

يشير هذا الاقتباس، الذي قد لا نوافق على كل ما جاء فيه، الى مساواة يهوشع للجلاد والضحية. فحتى الجلاد يطارَد من قبل مخاوفه وعقده. وهذه الصفة، البارانويا، هي احدى الصفات التي تظهر واضحة في مجمل النتاج العبري الثقافي: الخوف من الغير، والانغلاق، والانغماس بالذات الى درجة الاختناق.

ان الأزمة التي يعيشها العربي، ابن البلاد، نتيجة لتعامل الآخر معه ليست مقصورة عليه. فالآخر يعاني من ازماته التي تزعجه وتؤرقه. وهنا يكمن لبّ الصراع الفكري الذي يعيشه يهوشع. لقد عمل يهوشع، منذ كتاباته الاولى حتى الاخيرة، على تقديم صورة للوضع؛ وكل ذلك تمّ ضمن حدود صهيونيته ومواقفه الفكرية التي غذّت أدبه بافرازاتها. ورأينا ان يهوشع دأب على اجراء مصالحة مع الواقع، ولو قسرية. فالعربي الذي كان الاكثرية هنا، في هذه البلاد، اصبح أقلية يحاول يهوشع اشراكها في الحياة، ضمن معطيات فكرته الصهيونية.

ان إلماح الأدب العبري للشخصية العربية (مع كل القولبة والتنميط) يوحي، في أحيان، بشعور بالذنب لاقتلاعه وتشريده وتحويله الى أقلية. عند يهوشع يبدو الشعور بالذنب عالياً، والمصالحة تمّت مرات على نحو مصطنع، ممّا أخسر العمل الادبي الكثير. فلقد رفض يهوشع العربي مقطوع اللسان (اذ يستطيع على الرغم من ذلك ان يومىء أو ينقل الكثير بعينيه) واراده ان يكون انساناً متكاملاً، ممّا دفع به الى ان يحرق الغابة ليرى بقايا قريته المندثرة تحت الاشجار. لا نشك في ان الشعور بالذنب طاغٍ على الكاتب عند كتابة هذه القصة. لكن الايديولوجيا الصهيونية لا تستطيع التخلّص من أزماتها، فهي وليدة أزمة، ونتاجاتها عبارة عن أزمات. واحدى أكبر الأزمات الحرب والاحتلال والاستعلاء على الآخر والعنصرية. وممّا يدعو الى التفاؤل قليلاً، هو ان بعض الكتابات الأدبية لا يخلو من الوصول الى تناقضات مع الصهيونية، على الرغم من اصرار الكتّاب على التمسّك بالصهيونية.

يصعب تحديد أهمية كتابات يهوشع في الأدب العبري الحديث. لكننا نستطيع الجزم بأنه احد الكتّاب الذين قدّموا العربي كشخصية فردانية مستقلة متكاملة. وهذه علامة هامّة في الأدب العبري. فالشخصية التي تتحوّل الى طيف باهت، أو بوق لتفريغ آراء الكاتب، لا تعدو ان تكون أكثر من شخصية مسطّحة وعابرة وغير ذات أهمية. عمل يهوشع على تطوير شخصية العربي في الرواية؛ وحتى في أعماله التي لا يتطرق بها الى العربي نحسّ بمدى اللوعة التي يكتب بها، ليتخلّص من أزمة الحرب والاحتلال التي تفصل بين العربي واليهودي. لذا، نستطيع القول ان كتابات يهوشع عكست أزمة روحية حادّة يمر بها المجتمع الاسرائيلي؛ كما حاولت ان تقدّم صورة للعربي ابن البلاد.